بقلم: وليد عوض

«يستحيل الوصول الى عمل جيّد، إذا كنت تفاوض الانسان... السيىء»!

قطب المعلوماتية الأميركي
«وارن بوفيت»

فتح ملف المفقودين هو اللحظة المناسبة لدخول سورية الى الحضن... الدولي!

هذا هو الثمن في التحالف الفرنسي ـ السوري!

وزير الخارجية السوري وليد المعلم يسلم الرئيس ميشال سليمان الدعوة الرسمية لزيارة سورية.

السحر انقلب على الساحر. ففي تموز (يوليو) عام ٢٠٠٦ شنّت اسرائيل حرباً مدمرة على لبنان طالت الجسور وأهلكت الأطفال والنساء، وعصفت بالبيوت الأمنة في الضاحية الجنوبية والجنوب، بحجة استرداد الجنديين الأسيرين عند حزب الله، وهما «ايهود غولدواسر» و«ايلداد راجيف»، فإذا هي بتلك الحرب الحمقاء تتيح للبنان أن يسترد أسراه في سجون اسرائيل وعلى رأسهم شيخ المناضلين وعميد الأسرى وبطل عملية «نهاريا» سمير القنطار ورفاقه الأربعة، ومعهم أشلاء مئات الجثث لشهداء لبنانيين وعرب.

لم تملك اسرائيل، تحت ضغط الأمهات، ودموع الأخوات والبنات، إلا أن تسلّم بالأمر الواقع، وتفرج عن هذا الكم الكبير من الأسرى، أحياء وأشلاء، وكلها اعتقاد أن الأسيرين «غولدواسر» و«راجيف» هما على قيد الحياة. هكذا قضت فطنة أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله، أن ينتشر هذا الاعتقاد، في حين أن الأسيرين كانا جثتين هامدتين، لأن وجودهما على قيد الحياة أغلى ثمناً في عملية استرداد الأسرى اللبنانيين من أن يكونا قد فارقا الحياة. غلبة تجرعتها المخابرات الاسرائيلية، مثلما تجرع الجيش الاسرائيلي في حرب تموز (يوليو) ٢٠٠٦ كأس المذلة والهوان، وعندكم في تقرير لجنة «فينوغراد» ما يكفي لتظهير هذه الحقيقة.

وفي موازين الحروب يبقى السيد حسن نصر الله هو المنتصر ورئيس وزراء اسرائيل «ايهود أولمرت» هو المهزوم. كان السيد نصر الله في حرب العلمين اللبناني والإسرائيلي هو الماريشال «جورج مونتغومري» و«ايهود أولمرت» هو الماريشال «ايرفن رومل». وهذا الحشد من الأسرى، أحياء وشهداء، هو عنوان انتصار السيد حسن نصر الله على اسرائيل بالديبلوماسية المستعينة بوسيط ألماني. والديبلوماسية أحياناً لها صليل السيوف، ودوي المدافع، دون جبهة حرب.

ومن حق أهالي المساجين اللبنانيين الذين ضاعت آثارهم في سورية، أن يتمثلوا بالأسرى اللبنانيين والعرب في سجون اسرائيل. لقد غاب مصير ابن المنية في شمال لبنان يحيى سكاف في سجون اسرائيل، حتى كاد أهله يقطعون الأمل في استرجاعه ولو جثة هامدة، ولكن صليل السيوف في ديبلوماسية السيد حسن نصر الله لا بد أن يحسم أمره بعد فحوصات الحمض النووي، وإعادته الى تراب المنية ليدفن فيها، فتتلاشى الحيرة من أجواء أهله وذويه ويعرفون المصير الذي انتهى إليه. وهكذا حال المناضلة الفلسطينية دلال المغربي بطلة عملية القائد الفلسطيني الشهيد كمال عدوان عام ١٩٧٨. وحسناً فعل وزير الخارجية السوري وليد المعلم حين تبنى ملف المفقودين اللبنانيين في سورية، وقال إنه في عهدة لجنة من القضاة اللبنانيين والسوريين المشتركين الموصوفين بأعلى درجات النزاهة.

وكان المعلم ملفتاً حين قال إن من حق أهالي المفقودين في سورية أن يتظاهروا، ولا أحد ينكر لهم هذا الحق، وإنما كان عليه أن يصطحب من دمشق عائلات المفقودين السوريين في لبنان ليطالبوا أيضاً بأولادهم.

وأهم ما في الأمر أن ملف المفقودين في سورية، وصولاً الى الكتائبي بطرس خوند، وعدنان حلواني زوج عميدة المطالبين بالمفقودين وداد حلواني، قد فتح بعد طول اغلاق، وسيكون جزءاً من المباحثات التي يجريها غداً الرئيس ميشال سليمان في دمشق مع نظيره الرئيس السوري بشار الأسد. فالمشكلة طفت على السطح، ولم يعد في الإمكان اخفاؤها، أو التستر عليها. وهي قضية أساسية في حركة تصحيح العلاقات اللبنانية ـ السورية، حيث أعلن وليد المعلم من قصر بعبدا أن هذه العلاقات شابتها أخطاء من الجميع. والاعتراف بالخطأ ليس فضيلة فقط، بل هو المدخل الى علاقات حميمة ومميزة ومتوازنة بين لبنان وسورية. ولا بد من هذه العلاقات بين بيروت ودمشق وإن طال.. السفر، وتعقد الموقف خلال السنوات الثلاث الماضية!

وفتح ملف المفقودين في سورية هو اللحظة المناسبة في عودة سورية الى حضن المجتمع الدولي، والأوروبي بشكل خاص. لقد تطرق وزير الخارجية السوري وليد المعلم الى هذا الموضوع، موضوع المفقودين، منذ أسبوعين، في مقابلة مع الزميلة ماغي فرح على شاشة «أو تي في» البرتقالية، وقال إن البحث عن المفقودين يجب أن يتم من خلال مراجعة عهد الميليشيات في مطلع حرب لبنان حيث كانت التصفيات على الهوية، وليس كل مفقود موجوداً في سورية!

إلا أن المعلم حدد معالم هذا الموضوع من قصر بعبدا، ظهر الاثنين الماضي، وبدأت ورشة نبش الملف، ووضع النقاط فوق الحروف، ورد الحقائق الى معقلها..

ثمن الانفتاح على سورية!

إنها اللحظة المناسبة في غمرة انفتاح العالم على سورية.. وقد لاحت تباشير هذا الانفتاح من منصة الشرف لاستعراض ١٤ تموز (يوليو) عند ساحة «الكونكورد» في باريس، عندما أمر الرئيس الفرنسي «نيقولا ساركوزي» بإعطاء مقعد مميز للرئيس السوري بين الرؤساء الثلاثة والأربعين الذين حضروا بين أوروبيين ومتوسطين. الرجل الذي كان موضع حصار بالأمس من الولايات المتحدة واسرائيل وحتى فرنسا، وتحديداً فرنسا «جاك شيراك» التي أعلنت عليه القطيعة، وهاجمت طائرات اسرائيل شمالي بلاده يوم ٦ أيلول (سبتمبر) من العام الماضي، يصبح مرة واحدة الصديق المقرب، والرئيس المؤنس لفرنسا والغرب، برضا الولايات المتحدة واسرائيل التي تفاوض سورية بصورة غير مباشرة في اسطمبول، برعاية الوسيط التركي «أحمد داود أوغلو» المتنقل بين فندقين: واحد يجلس فيه المفاوض الاسرائيلي، وآخر يجلس فيه المفاوض السوري، و«أحمد داود أوغلو» هو المكوك.

لقد تعرض الرئيس الفرنسي «ساركوزي» لانتقادات بالجملة من المعارضة الفرنسية، ولاسيما زعيم الحزب الاشتراكي «فرانسوا هولاند» لأنه فتح أبواب قصر «الإليزيه» أمام الرئيس بشار الأسد، وانبرت جريدة «ليبراسيون» لصليه بنار هجومية لا تبقي ولا تذر. لكن حكماء فرنسا، ومنهم وزير الدفاع الأسبق «جان بيار شوفينمان» أنصفوا الرئيس الفرنسي وقالوا إنه اختار سلاح الحكمة، وفتح الطريق لفرصة سلام. بل يروي أصدقاء قصر «الإليزيه» أن «شيراك» وهو يسلم خلفه «ساركوزي» مفاتيح قصر «الإليزيه» قال له:

ـ فلتكن بينك وبين بشار الأسد مسافة ما، حتى لا نغضب أصدقاءنا في لبنان!

إلا أن «ساركوزي» الموصوف بعشق الأخطار وسياسة الصدمات، أحب أن يعاكس الريح الأوروبية، ويفتح ذراعيه للرئيس الأسد، ويوصي بانفتاح

السيد حسن نصر الله وعميد الأسرى المحررين سمير القنطار.. وديبلوماسية صليل السيوف.

* «ساركوزي» ينتهج أسلوب «طوني بلير» في استرجاع ليبيا، وينسج على منواله مخطط استرجاع سورية!

الوزير المعلم بين وزير خارجية لبنان فوزي صلوخ وأمين عام المجلس السوري ـ اللبناني نصري خوري

اقتصادي كبير على سورية، بدءاً من إقامة خبراء فرنسيين لمصنعي ترابة في سورية، وما زيارة نائب رئيس الوزراء السوري عبد الله الدردري بالأمس لباريس إلا لفتح ملف العلاقات الاقتصادية بين سورية وفرنسا على مصراعيه.

لقد لاذ «ساركوزي» بسياسة الديبلوماسية المكتومة، وهو يقرر الانفتاح على سورية. أرسل أولاً أقرب مساعديه مدير القصر الرئاسي «كلود غيان»، ومستشاره السياسي الخاص «جان دايفيد لوفيت» الى دمشق وأطلق على هذه المباحثات اسم «عملية استرداد سورية». وهذه الخطوات «الساركوزية» لم تلق اعتراضاً لا من الولايات المتحدة ولا من اسرائيل، والعملية تشبه «خطة استرجاع ليبيا والقذافي» التي أطلقها رئيس الوزراء البريطاني السابق «طوني بلير» منذ سنوات، لإبعاد طرابلس الغرب عن محور الشر، وردها الى المحور الغربي.

لكل شيء.. ثمن!

ولكن على الغرب في استرداد سورية أن يدفع المهر الغالي، وهذا المهر يتمثل بالآتي:

* أولاً: استرجاع هضبة الجولان في مفاوضات تنطلق من وديعة «رابين» عام ٢٠٠٠، والضغط على اسرائيل للانسحاب من هناك الى حدود ١٩٦٧، مع دفع الثمن الأوروبي لاسرائيل لقاء هذا الانسحاب.
* ثانياً: مساعدة اقتصادية ومالية لسورية ترد اعتبارها الاقتصادي العالمي.
* ثالثاً: ادخال سورية في المدار العربي والمحور الغربي.
* رابعاً: مطالبة سورية بإقامة علاقات ديبلوماسية مع اسرائيل بمجرد أن يتم الاتفاق على استرجاع هضبة الجولان.
* خامساً: التملص السوري من الحلف مع إيران ولو بحدود.
* سادساً: وقف المساندة السورية الكاملة لحزب الله في لبنان و«حماس» في فلسطين.
* سابعاً: وقف التدخل السوري في الشأن اللبناني وترك اللبنانيين يديرون شؤون بيتهم الداخلي بأنفسهم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن اتفاق الدوحة ولد من موافقة سورية أولاً وعربية ثانياً. وهذا أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة الذي ظهر في باريس معززاً للتوفيق بين الرئيسين ميشال سليمان وبشار الأسد، يشهد على الدور السوري في تسهيل عملية انتخاب العماد سليمان رئيساً للجمهورية.

وفي تصور الرئيس «ساركوزي» أن هذا الانفتاح الغربي على سورية، بضوء أخضر من الولايات المتحدة، رغم كل ما نسمعه من أصوات أميركية تشبه نعيق الغربان، كفيل بإعادة سورية الى خط الدول المعتدلة، وهي الدولة المؤثرة في أحداث الشرق الأوسط، سواء في لبنان، أم في فلسطين، أم في العراق. ويعتمد «ساركوزي» في هندسة هذا الانفتاح، على الثقة التي زرعها في نفوس الاسرائيليين، والأميركان، والعرب الموصوفين بالاعتدال، فلم يلق في طريقه الى سورية التي سيزورها في أيلول (سبتمبر) المقبل أي رفض يعيقه عن تنفيذ مهمته. ومن انفتاح «ساركوزي» على سورية، ودعمها سياسياً واقتصادياً وثقافياً (لمناسبة افتتاح فرع لمتحف «اللوفر» في دمشق عما قريب) تستفيد الولايات المتحدة من تفاهم فرنسي ـ سوري على تهدئة الأوضاع في العراق، خصوصاً بعدما أعلن زائر العراق المرشح الرئاسي الأميركي «باراك أوباما» قراره بسحب الجيش الأميركي من العراق قبل العام ٢٠١٠ إذا وصل الى رئاسة البيت الأبيض.

ويعمل «ساركوزي» بحكمة المفكر «هنري فايول» الذي يقول: «الحكم رؤية والرؤية تقضي باحتمال المستقبل والتحضير له، لأن الرؤية هي أيضاً الاندفاع في العمل»، ويتحرك كذلك بحكمة «لاروشفوكو» التي تقول: «نحن نحب دائماً الذين نعجبهم ولا نحب دائماً من يعجبوننا». وبالتحالف مع سورية يستطيع «ساركوزي» أن يخفف من ردة الفعل السورية إذا هوجمت إيران بضربة جوية، تماماً كما اختزلت ردة الفعل الإيرانية عند قيام اسرائيل بغارة جوية على شمال سورية يوم ٦ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٧، دون أن ينفصم التحالف السوري ـ الإيراني.

لقد قامت اسرائيل بما يسمى «بروفة» هجوم جوي على إيران في سماء المتوسط. هي أخذت دور المهاجم، واليونان بطائراتها الحربية أخذت دور المتعرض للهجوم. كان ذلك في منتصف حزيران (يونيو) الماضي، على بعد ١٥٠٠ كيلومتر من شواطئ إيران. وبالمقابل أشعل الحرس الثوري الإيراني يومي ٩ و١٠ تموز (يوليو) الجاري مناورة «الرسول الأعظم ٣» مستخدمين الصواريخ الصينية «نودونغ» التي عمدوها باسم «شهاب» ومن خصائصها إرسال شحنة متفجرة بوزن طن الى مدى ألفي كيلومتر. وفي الوقت نفسه عمد البريطانيون والأميركان والبحرينيون الى إجراءات حماية مكثفة لمنشآت البترول والغاز في الخليج العربي تحسباً لأي هجوم صاروخي إيراني. وبالمقابل أعلنت شركة البترول الفرنسية «توتال» يوم ١١ تموز (يوليو) من هذا الشهر، انسحابها من الحقل النفطي الإيراني «ساوث بارس» بعدما اكتشفت أن بقاءها هناك هو الخطر بعينه.

وفي ردات الفعل أعلنت محكمة بريطانية تجميد نشاطات بنك «ميلّي» التجاري الإيراني في بريطانيا وأوروبا، كما أعلن مستشار المرشد الروحي الإيراني السيد «علي خامنئي» أن أي هجوم جوي على إيران سيكلف تدمير قلب اسرائيل و٣٢ قاعدة أميركية في المنطقة قبل أن يسقط تراب الهجوم الجوي على الأرض. بالمقابل قال الرئيس الإيراني «محمود أحمدي نجاد» يوم ١٤ تموز (يوليو) الجاري إن بلاده جاهزة لاستقبال بعثة ديبلوماسية أميركية على أرضها، بعد قطيعة ديبلوماسية طوال ٢٩ عاماً، أي أن السخن والبارد يتجاوران في أزمة الملف النووي الإيراني.

إنه حديث الأسرى..

وكلنا في المحصلة أسرى الترقب لما يمكن أن يحصل في المنطقة خلال الأسابيع المقبلة. وربنا يستر!□